الدولة العميقة للهوى الشيخ عماد العلياوي

الدولة العميقة للهوى

الشيخ عماد العلياوي

ربما يكون من السهولة أن يتجاوز الإنسان متطلبات البدن و أدواته المادية ، ويزهد في ما له ولها ، ويعرض عن كل ما يرتبط بهما ويمت لهما بصلة .

ولكن في بعده الأخر وما يرتبط بالنفس الإنسانية ، ما يتخفى خلف عناصر الشخصية الظاهرة في الصورة ، وما يرتبط بها ، ويتحين ساعات تحكمه في مملكة الظاهر ، فتظهر أثار حب السلطة والجاه والمال

والسلطان، وحب المدح والثناء ، فيظهر سلطان الدولة العميقة في نفسه والتي تشكل حقيقة شخصيته المتخفية وراء أستار الزهد والتقوى، فالظاهر زاهد ، والحقيقة راغب ، والظاهر من المحسنين، والباطن من الطالبين ، وأي قصص أصرح وأوضح ممن تزكى ثم أعقبه بأن تردى حيث دولته العميقة انسته مقام ربه فنسى نفسه ، قال تعالى حكاية عن ذلك : ﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذي آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَّيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ * وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إِن تَحمِل عَلَيهِ يَلهَث أَو تَترُكهُ يَلهَث ذلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَاقصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾

[الأعراف: ١٧٥-١٧٦] . فأنظر إلى قوله (نَبَأَ الَّذي آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها) تجد تجذر أدوات الهوى في عمق الذات ، فلو وقفت متسائلا مع نفسك ؟ كيف أتي الآيات إلا يدل على عظيم شأنه وكيف سلبت عنه ؟ إلا يدل على تدني حاله ، أجابك القرآن ذلك شأن الهوى (وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها وَلكِنَّهُ أَخلَدَ إِلَى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ) . وهذا حال الكثير مثله فكانت قصته عبرة (فَاقصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ) .

بل ربما تمادى حب السلطة المتخفي ليظهر بعد عظيم المنزلة حربا على ا تعالى، وإظلالا لعباده ، فأنظر الى بني إسرائيل مع قيادة موسى عليه السلام، واستقرار شأنهم، ولطف ا تعالى بهم ، وربانية قائدهم ، كيف تغير الحال ،وتبدل الاستقرار، قال تعالى: ﴿وَما أَعجَلَكَ عَن قَومِكَ يا موسى * قالَ هُم أُولاءِ عَلى أَثَري وَعَجِلتُ إِلَيكَ رَبِّ لِتَرضى * قالَ فَإِنّا قَد فَتَنّا قَومَكَ مِن بَعدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السّامِرِيُّ * فَرَجَعَ موسى إِلى قَومِهِ غَضبانَ أَسِفًا قالَ يا قَومِ أَلَم يَعِدكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا أَفَطالَ عَلَيكُمُ العَهدُ أَم أَرَدتُم أَن يَحِلَّ عَلَيكُم غَضَبٌ مِن رَبِّكُم فَأَخلَفتُم مَوعِدي * قالوا ما أَخلَفنا مَوعِدَكَ بِمَلكِنا وَلكِنّا حُمِّلنا أَوزارًا مِن زينَةِ القَومِ فَقَذَفناها فَكَذلِكَ أَلقَى السّامِرِيُّ * فَأَخرَجَ لَهُم عِجلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ فَقالوا هذا إِلهُكُم وَإِلهُ موسى فَنَسِيَ﴾

[طه: ٨٣-٨٨] . فالذي اضلهم السامري ، والذي جعل العجل ألها من دون ا تعالى يعبد هو" فَأَخرَجَ لَهُم عِجلًا جَسَدًا لَهُ خُوارٌ فَقالوا هذا إِلهُكُم وَإِلهُ موسى فَنَسِيَ " .

ثم أنظر إلى منزلته لتعرف خطورة دولة النفس العميقة للهوى، وأدواتها، التي منها النفس ، لترى

كيف يكون داعي الهوى، قال تعالى: ﴿قالَ فَما خَطبُكَ يا سامِرِيُّ * قالَ بَصُرتُ بِما لَم يَبصُروا بِهِ فَقَبَضتُ قَبضَةً مِن أَثَرِ الرَّسولِ فَنَبَذتُها وَكَذلِكَ سَوَّلَت لي نَفسي﴾

[طه: ٩٥-٩٦] . فأنظر إلى قوله تعالى " قالَ بَصُرتُ بِما لَم يَبصُروا " . تجد أي مقام كان ، ثم أنظر إلى قوله تعالى " فَقَبَضتُ قَبضَةً مِن أَثَرِ الرَّسولِ فَنَبَذتُها وَكَذلِكَ سَوَّلَت لي نَفسي " ، تجد إلى أي مقام صار ، وأي أسباب الخسران كان الميدان . فأثر الرسول (أي أثار أقدام جبرائيل التي كان يشاهد معها الحياة الحقيقية) إنما وصل إليها بأعراضه عن الدنيا وما فيها ، وخلوده إلى الأرض مرة أخرى وضلاله وإضلاله ، بتسويل نفسه .

فأي مأمن لغيرهما من الثبات بعدهما، يقول سيد الموحدين عليه السلام :" فَرَحِمَ اَللّٰهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ وَ قَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ فَإِنَّ هَذِهِ اَلنَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْ ءٍ مَنْزِعاً وَ إِنَّهَا لاَ تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى " .(نهج البلاغة/ الخطبة : ١٧٦) .